من غيابة الجبّ أنده

. أحمد سويد* .

من غيابة الجبّ أَصرخُ.
أندهُ إخوتي الأقمارْ،
أَحْفرُ في عمق الأَرحامِ.
أضربُ في عُمق الأصلابْ.
أَدْمغُ بدمي كلَّ الجباهْ.
وأشلائي فوقَ كلّ الوجوه،
ونثارُ لحمي عالقٌ في كلّ الأنيابْ.

❖ ❖

أَعْبر وحدي جنونَ الريحْ
أشقُّ وحدي بحرَ الأهوالْ
أملأُ وحدي خواءَ الصحارى
وفراغَ الروح الجمعيهْ.
أعرّي وحدي عجزَ الصمتْ
أَخنقُ بيدي خوارَ العجزِ
ورعبَ الأدغالْ.
وعروقي بعروقِ الأرض متّحدةٌ
وفيها تمتدْ.
يَشْخب منها نسغي كالأنهارْ،
ويَروح يَلْهثُ في السُّهوب البريّهْ
يتجمّع سيلاً من نبضٍ ونارْ،
ينصبّ أنطافًا في الأرحام الغيبيّه
يصنع فيها دهشةَ الفجاءات الأبكارْ
والعناصرَ الأُولى للزلزالْ.

❖ ❖

أناديهم:
أَعْصرُ في أعينهم حُصرمةً،
وأَعْصبها بقميصي،
كي أغسلَها
كي أبرأَها من عُمى الألوان
أَفْتحها وسعَ الدنيا،
كي يُبْصروا:
أنّ شمسَهم جثّةٌ يَنْهشها ثعبانْ
وأنّ ملوكَ أرضِهم بومٌ،
وصوًى سودٌ، من هباءٍ وطينٍ وصلصالْ،
وأنّ ساداتها عبيدٌ،
وسلطانَهم زيْفٌ ووهمٌ،
وبطاناتِهم جورٌ وقهرٌ،
وسُلالاتُ غربانْ،
وصافناتٌ عُرجٌ قوائمُها، ضُمّرٌ خواصرُها،
وما كلُّ ذي حافرٍ بصَهّالْ.

❖ ❖

أناديهم:
وأَهْزجُ لطفلٍ جنوبيٍّ؛
لوعدٍ برعمٍ يحبو على جفنِه الوسنانْ؛
لفجرٍ يَهمُّ يَطْلعُ من صدرِه العريانْ؛
لدهريّةٍ تشدُّ الزمنَ الآتي بجديلتِها،
وتَرْقصُ له جذلى فوقَ رمادِ البيتْ؛
لعروسٍ تشكُّ الفرحَ الآتي في غرّةِ الحبيب المسجّى،
تقبّل جرحَه الراعفَ كبرًا،
فيُزْهرُ الجُرْحُ،
ويُشرقُ الفرحُ الآتي من جسد الميتْ.

❖ ❖

أناديهم:
وأَهْزج لفتًى جنوبيٍّ
يشدّ قامتَه فيغدو إلهًا بقامةِ العصرْ
ثم ينحني يؤاخي زعترَ السفح وسنبلةَ الحقلْ
يشكّ بيُسْراهُ غرسةَ زيتونٍ وضلعَ متراسٍ
ويُمْناه تضمُّ الترابَ الحبيبَ،
تَجْمع زهرَه المذبوحَ،
وتلمُّ واثقةً غلالَ النصرْ.

❖ ❖

* ـ شاعر وقصّاص من لبنان. نائب سابق في البرلمان اللبناني. أمين عامّ سابق لاتحاد الكتّاب اللبنانيين.

أناديهم:
وَيَهْدر صوتي في كلِّ الوديانْ
يَصْهلُ دمي يلوب في كلِّ الدروبِ،
أَسْكبه، أَسْفحه
أروّي به الحُورَ والصفصافَ والوزالْ
أَغْرسُه مشاتلَ ضوءٍ فوقَ متاهاتِ الرمالْ
وعلاماتِ هدى في غيابات القفارْ.
ولكنّم لا يَسْمعون صهيلَ دمي

لا يُبْصرونَ منارات دمي
لا يَفْقهون لسانَ دمي
لا يُبْصرونني
لا يدركونني
وأنا في جبهةِ الآتي بهاءُ الآتي
وفي حضرةِ الآن جلالُ الآنْ.

❖ ❖

من غيابةِ الجبِّ أصرخْ،
أندهُ إخوتي الأقمارْ،
أمدُّ جسدي لهم كي يَعْبروا،

وعَزْمي كي يُقْدِموا
وساعدي، وجرحيَ
كي يَخْرجوا من رقمهم،
من قميصِ ذُلِّهم وخانة الأصفارْ.

❖ ❖

أناديهم،
ويَرْجع كسيراً إليَّ الصدى
مثقلاً بهبابٍ أسود فاحمٍ
وشَميمِ نفطٍ يلوِّث فضاءَ اللّه
ويُزْكِمُ أنفَ العصرْ.

بيروت

كان صوت المؤذّن يصل إليه قليلاً مبدّداً من المئذنة البعيدة. عرفه. كان يضيف نغمة حزينة إلى كلمات الأذان الأخيرة، يصل صداها إلى يعقوب وهو في الأرض الصغيرة الواطئة. يرتفع صوت المؤذّن حيناً فيتّضح، ويتهيأ ليعقوب أنّ الرجل اقترب مسافة منه. لكنْ يعود فيبتعد. كان الرجل في رأس المئذنة القليلة العلوّ. يضع كفّه بين أذنه وذقنه ويقدّم رأسه حين يقرأ كأنّما ليُسمع صوته إلى بشرٍ حَسِبَهم موزّعين في الجلول عند أطراف الضيعة.

حسن داوود روائي لبناني. صدرتْ له روايات عدّة كانت أولاها بناية ماتيلد. كما أصدر مجموعتين قصصيتين. تُرجمتْ أعماله إلى لغات عدة. ويعمل الآن مديراً لتحرير ملحق «نوافذ» الصادر عن صحيفة المستقبل.